النظرية النفسية المفسرة للسلوك الاجرامي و الانحرافي

***المبادئ العامة للمدارس و الاتجاهات النفسية في تفسير الانحراف و الجريمة:**

- تتمحور هذه المدارس في دراستها على محاولة تحليل السلوك الجانح من خلال الجانب الذاتي للشخصية المنحرفة.
- لا تنكر هذه المدارس المؤثرات الخارجية و لكن تركز في دراستها حول فهم دينامية السلوك المنحرف من الشخصية و تكوينها و طبيعة القوى الفاعلة فيها.
- فأمام العوامل البيولوجية و الاجتماعية مثلا لا تنظر المدارس النفسية إليها تبعا لحالاتها الأولية و ربطها مباشرة بالسلوك الجانح ، بل البحث عن انعكاساتها على نفسية المنحرف كخطوة أساسية.
- يهتم أنصار هذه المدارس في تفسير السلوك الإجرامي عن طريق ربطه بالاضطرابات السلوكية.
- التركيز على التشخيص لبعض السمات النفسية المزاجية و القدرات العقلية التي يتميز بها المجرمون.
- الكشف عن البواعث آو دوافع انحراف الشخصية.
- يرى علماء النفس أن الفارق بين الشخصية السوية و الشخصية المرضية هو فارق في الدرجة و ليس فارقا في النوع.
- تشير الدراسات النفسية أن المجرمين خليط غير متجانس من الأسوياء و العصابيين و الذهانيين و السيكوباتيين و ضعاف العقول.

العوامل النفسية الرئيسة المولدة للسلوك الانحرافي و الإجرامي

من اهتمامات علم النفس الإجرامي الكشف عن العوامل النفسية المولدة للجريمة ، و التي يرجعها البعض إلى خمس علل (احمد قليش و آخرون، 2017،ص ص 72-79) هي :

1 -الاختلالات الغريزية :

فالغريزة هي استجابة فطرية ذات طابع نفسي بحكم الانفعال المصاحب لها (و هذا ما تؤكده نظرية الغرائز لماكدوغال Mac Dougell) مع مثيرات معينة التي يثيرها إدراك الفرد و تدفع به إلى إصدار سلوك معين.

و بمعنى أخر أن الغريزة لها مكون معرفي و أخر انفعالي و ثالث نزوعي أي سلوكي.

و الاختلالات الغريزية المنتجة للجريمة هي:

- **اختلالات الغريزة الجنسية** و التي تتمظهر في :

= الجموح الجنسي : érotomanie و الذي يعرف بالشبقية عند الذكور و بالغلمة عند الإناث الناجم عن تضخم أو الزيادة في الطاقة الجنسية.الأمر الذي قد يدفع المصاب به إلى جرائم الاغتصاب و ممارسة البغاء لرغبته الشديدة و المستمرة لإشباع شهوته الجنسية.

= الخمود الجنسي : apathie sexuelle الناجم عن خمود الطاقة الانفعالية للغريزة الجنسية الذي يؤدي إلى اللامبالاة الجنسية و انعدام أو ضعف الميل الجنسي و من ثم العزوف عن الحياة الجنسية الطبيعية.و قد يلجا الشريك غير المصاب بهذا الجمود إلى إشباع طاقته الجنسية بطرق غير مشروعة من قبيل الخيانة الزوجية ، و هذا ما يثير من جهة أخرى شكوك الطرف الآخر مما قد ينجر عنه مشاجرات ربما تتطور إلى جرائم عنف و حتى قتل.

= الانحراف الجنسي : perversion sexuel و يظهر في إتباع طرق و أساليب بديلة و شاذة و مخالفة الفطرة و الطبيعة في إشباع الغريزة الجنسية . و من أشكاله: الجنسية المثلية homosexualité ، الفيتيشية fétichisme ،الميل الجنسي للأطفال pédophilie ، السادية sadisme ، المازوخية masochisme و التحول الجنسي travestisme و كلها تصرفات مشجعة للوقوع في جرائم الاغتصاب أو التحرش أو الدعارة.

-**اختلالات غريزة المقاتلة** : l'instinct du combat التي تهدف في مستواها الطبيعي إلى حفظ الذات من المخاطر . و لكن حدة انفعال الغضب المصاحب لهذه الغريزة تجعل صاحبه عاجز عن كبح غضبه الشيء الذي قد يتسبب في صدور سلوك قتالي عنيف اتجاه الغير و تحطيم و تدمير الأشياء و التلفظ بعبارات التهديد و الشتم و القذف .

-**اختلال غريزة الاجتماع** :l'instinct sociale و هي غريزة أساسية في الانتماء و تشكيل التجمعات ، و في صورتها الطبيعية مساعدة على التعاون و التعاضد الإنساني في مواجهة صعاب الحياة . لكن خمود هذه الغريزة ينجم عنة اللامبالاة و الابتعاد و العزوف عن المشاركة الاجتماعية ، مما قد يهيئ صاحبها إلى التمرد عن قواعد ضبط السلوك و خرق القوانين الناظمة للعلاقات الاجتماعية الامر الذي قد يوقعه في سلوكات يجرمها القانون.

2- العواطف المنحرفة : يمكن تقسيم العواطف إلى : عواطف جذابة تجذب صاحبها إلى موض وعاتها كعاطفتي الحب و الاحترام . و أخرى منفرة تجعل صاحبها ينفر من موضوعاتها كعاطفتي الكراهية و الاحتقار. و عليه فان العواطف إما تجعل شخصية صاحبها ميالا إلى حب الآخرين و التعاون معهم و الإحساس بهم. و إما تجعله يسلك مسالك الانحراف و الشر و الفساد.

و نشير إلى انه يمكن لعاطفة واحد أن تتضمن الخير و الشر في آن واحد كعاطفة حب المال.

3- العقد النفسية : complexes psychiques و التي تتكون من حصيلة المواقف و الذكريات المشحونة بسمات انفعالية مؤلمة و ضارة المكبوتة في اللاشعور حسب المنظور التحليلي النفسي .

فهذه العقد الكامنة في اللاشعور تدفع بصاحبها إلى القيام ببعض السلوكات الشاذة و المنحرفة تكون مهيأة للإجرام و من أكثر هذه العقد المولدة للسلوك الإجرامي :

= **عقدة النقص** complexe d'infériorité التي تنشا نتيجة إصابة الفرد بعاهة أو خلل يصب بعض وظائفه الحسية أو الحركية أو نتيجة الحرمان الجزئي أو الكلي من إشباع الحاجات الأساسية.الأمر الذي يولد شعور بالدونية أو النقص فيدفع بالفرد إلى التعويض عن ذلك إما بشكل ايجابي و مقبول أخلاقيا و اجتماعيا و إما بشكل سلبي يظهر في سلوكات تعويضية مرفوضة قانونا من بينها ارتكاب الجرائم.

=**عقدة اوديب complexe d'Oedipe** التي تنشا ضمن العلاقة الثلاثية الأب –الأم – الطفل أين يميل الطفل إلى عشق أمه و شعوره في نفس الوقت بالغيرة من أبيه .الذي يراه منافسا له في حبه لامه. فإذا استمر هذا الكره لأبيه و التعلق بالأم تدفع به كراهيته اللاشعورية لأبيه إلى اتخاذ سلوكات عدوانية اتجاه كل من يرمز أو يملك السلطة. فيتمرد عليها و يميل إلى اللامتثال إلى القوانين و الأنظمة الأمر الذي قد يوقعه في السلوكات المنحرفة و المجرمة. مثل زنا المحارم و قتل الولي.

=**عقدة الأب complexe paternel** هذه العقدة تنشا أساسا من سوء المعاملة الوالدية في التنشئة الأسرية التي تتميز بالشدة و القسوة اتجاه الطفل ، حيث باستمرارها يتشربها الطفل و يستدخلها في اللاشعور فيقوم بممارستها بدوره مع الآخرين .قد تصل به إلى سلوكات إجرامية.

=**عقدة الكترا** **Le complexe d'Électre** و هي المقابلة إلى عقدة أوديب لدى الفتاة حيث تتعلق الطفلة بوالدها بشكل مرضي شديد و تغير عليه من والدتها و تقوم بتقليد والدتها في كل تصرفاتها كنوع من الغيرة . قد يصل هذا التعلق اللاوعي للفتاة بأبيها وغيرتها من أمها وكرهها لها، إلى التأمر عليها أو إيذائها آو الكيد لها للتخلص منها .لأنها تراها العقبة التي تقف أمامها في طريق الحصول على أبيها،.

4 -**الأمراض النفسية**:التي أرجعتها نظرية التحليل النفسي إلى نزعات و رغبات مكبوتة ذات طابع جنسي تظهر بشكل اختلالي جزئي للشخصية مقرون باضطراب نفسي.

و يعتقد فرويد Freud أن الهستيريا التحويلية (نوبات الصرع، نوبات التجوال النومي– السرنمة، ازدواج الشخصية) و الهستيريا التسلطية(هوس القتل ،هوس السرقة، kleptomanie هوس إضرام النار pyromanie، هوس الجنس، هوس الكحول) و هستيريا المعتقدات الوهمية (الشعور بالعظمة و الاضطهاد) هي أشكال من الأمراض التقسية العصابية لها علاقة بالسلوك الإجرامي.

كما يمكن أن تؤدي بعض الأمراض الذهانية les psychoses – و هي من الأمراض النفسية الشديدة، و التي تتميز بأثيرها الخطير على الشخصية– إلى ارتكاب الجرائم. (إبراهيم حمداوي، 2017، ص 100)مثل : ذهان الاكتئاب يمكن أن يؤدي إلى قتل الأشخاص المقربين من المريض. جنون الشيخوخة يؤدي إلى السرقة و الجرائم الجنسية، كما قد يؤدي الفصام إلى القتل و الاعتداء على الأخلاق.

و في إطار الأمراض العقلية التي تولد الإجرام يمكن التمييز بين نوعين من هذه الأمراض (جابر نصر الدين، 2006،ص ص 179، 180) هي : الأمراض التي يصيب كلية القدرات العقلية مثل : التخلف العقلي ، الخبل (الخرف)و الذهانات . و الأمراض التي يصيب جزئيا القدرات العقلية مثل : الغباء الخفيف، الاعصبة،عدم التوازن العقلي.

5 -**التخلف النفسي**: الناجم عن توقف تطور الجانب النزوعي من الغريزة في مرحلة الطفولة، و يبقى ثابتا في حالته الأولية، أين يصبح المريض محتفظا بسلوكه الطفولي العابث. أو ما يسمى بالية التثبيت. fixation.

و صنف علماء النفس المتخلفين نفسيا بناء على طبيعة سلوكهم إلى فئات هي:

–نمط عدواني: من صفاته التمرد على نظم المجتمع و العدوانية في التعامل مع الآخرين. قد توصله إلى جرائم العنف و السرقة و الاغتصاب.

–نمط مراوغ: الذي يتميز بأسلوب المراوغة و الخداع و التسويف في تعامله مع الغير.مما قد يؤدي به إلى جرائم الاحتيال و التزوير و النصب و خيانة الأمانة.

مدرسة التحليل النفسي و السلوك المنحرف و الإجرامي

تعد مساهمة التحليل النفسي أساسية في فهم السلوك المنحرف من خلال تحليل شخصية المنحرف و معرفة خفاياها من منظار دينامي يرتكز على دوافع الجانح الأمر الذي ساعد المهتمين بالسلوك المنحرف و الإجرامي من وضع خطط توجيهية و علاجية مناسب.

و لقد أكد سيغموند فرويد *Sigmund Freud* مؤسس هذه النظرية من خلال نظريته في تفسير الجن وح والانحراف أن الجريمة تعزى إلى اختلال في وظائف الجهاز النفسي للشخصية المتمثل في الهو والأنا، والأنا العليا. من حيث بناء هذا الجهاز، وقوته وضعفه و طبيعة العلاقة بين عناصره الثلاثة من جهة وبين الواقع المحيط من ناحية أخرى. إلى جانب ما ينشأ في النفس من صراع ودوافع مكبوتة تؤدي إلى أساليب سلوكية لاشعورية شاذة للدفاع عن ذات الفرد. وهذا يؤدي إلى السلوك اللا سوي بمختلف صوره كالسلوك الذهاني، أو العصابي، أو السلوك الإجرامي.

والملاحظ أن التفسيرات النفسية للسلوك المنحرف تعتمد في العديد من جوانبها على منطلقات تيارات التحليل النفسي المختلفة ، فمشكلات العلاقات مع الوالدين و الحرمان العاطفي و مشاعر الذنب و النقص و الصراع و العقد النفسية خصوصا عقدة اوديب ... تشكل محاور رئيسية في الاتجاهات الحديثة في تحليل و فهم الشخصية الجانحة.

و المتتبع لتراث التحليل النفسي يتبين له أن نظرة التحليل النفسي لشخصية المنحرف و المجرم مرت بعدة مراحل(محمد زبغور،1993، ص، ص 47-51) هي :

أ – مرحلة تعميم نظرية العصاب على الجانحين: –

حدث هذا التعميم في بداية اهتمام التحليل النفسي بالسلوك الجانح بشكل عام و اعتبر كشكل من أشكال العصاب و عومل على هذا الأساس من الناحية العلمية و أطلق عليه اسم اضطرابات الطباع. و من مبررات هذا التعميم ما يلي:

*وجود الاضطرابات النفسية التي تميز الحياة العصابية عند العديد من الجانحين.

*المنحرف شبيه بالعصابي من حيث سرعة تفجر القلق النفسي لديه و سرعة انفعاله و نقص نضجه الشخصي و صعوبة ارتباطه بعلاقات عاطفية مستقرة و ناضجة مع كثرة الاضطرابات الجنسية لديه.

* دراسة بعض التصرفات الجنائية أوضحت علاقتها بعقدة اوديب و الرغبة في التعويض القضيبي و هي من مكونات العصاب الأساسية.

*كما يلاحظ عند دراسة الحياة النفسية للعصابي خصوصا دوافعه و نزواته المكبوتة في اللاوعي تبين أن هناك شحنات هائلة من نوازع العدوانية و الجنسية و غير الخلقية و ميول لسلوكيات إجرامية.

* إن حياة العصابي لا تخلو أبدا من مكافآت رمزية للجنح و الانحرافات و الميول الجنائية.

* كما أظهرت دراسة أحلام العصابي و كوابيسه إلى كثرة موضوعات العدوان و الاقتتال و الاعتداء و الضرب ... . و هي أمور تميز حياة بعض الجانحين الذين ينزعون إلى العنف .

الانتقادات الموجهة لأصحاب هذا التعميم

–رفض المحللين لهذا التعميم المبسط بالرغم من تشابه بين بعض جوانب العصاب و الانحراف .

– إذا كان هناك جانحون ناجم انحرافهم عن عوامل مرضية نفسية و يختفي عصابهم وراء اضطرابات خلقية و سلوكية ، فانه لا يمكن مطلقا إرجاع جميع المنحرفين إلى هذه الفئة، حيث أثبتت أبحاث أن حوالي 80 من الجانحين لا يتميزون مطلقا عن الناس العاديين من حيث ظهور الأعراض العصابية لديهم . و من الضروري التمييز الواضح بين الشخصية الجانحة و الشخصية العصابية عند تشخيص حالاتهم. ثم إن الأعراض العصابية التي تظهر عند الجانحين ليست هي المسؤولة بالضرورة عن انحرافهم . فالعلاقة بينها و بين السلوك الجانح ليست سببية.(محمد زبغور،1993،ص 48).

كما نشير إلى أن الأمراض العصابية هي أكثر انتشارا بين غير المجرمين بالمقارنة بانتشارها بين المجرمين. (عبد المجيد سيد احمد منصور، زكريا احمد الشربيني، 2013،ص 98)

– فالاضطرابات العصابية التي تظهر عند بعض الجانحين تظل ثانوية بالنسبة للاضطراب الأساسي و هو التوجه نحو الحياة الجانحة.

– و هناك فرق أساسي بينهما هو الأسلوب العام للوجود و فلسفته فالمنحرف توجه حياتي يتميز بالعداء للمجتمع و اضطهاده و الدخول في صراع مع معاييره. أما العصابي فيتميز نمط وجوده بالعجز أمام المجتمع و الآخرين .

– و من ناحية أخرى إن الميولات ذات الطابع العدواني و اللا أخلاقي التي تظهر في أحلام العصابي و تملا حيزه اللاوعي لا تتعدى غالبا المجال الهوامي و لا تتجسد في السلوك الجانح إلا في حالات نادرة.لأنه يحاول عادة اتخاذ الاحتياطات لمنعها من الظهور في سلوكات، و يصبح الخوف من ظهورها وسيلة للتعبير عن قلقه المرضي.

كما نشير إلى نقطة هامة و هي أن في بعض الحالات تؤدي نفس العوامل إلى نتيجتين مختلفتين ، فالحرمان العاطفي مثلا في الطفولة المبكرة قد يؤدي إلى العصاب أو الذهان أو الانحراف . و في هذه المواقف نكون أمام فروق نوعية بين الاستجابة العصابية و الاستجابة الجانحة للحرمان من المهم جدا عند المهتمين تشخيص طبيعتها لتحديد طريقة علاجها.

ب-مرحلة التعارض بين الجانح و العصابي

بناء على الانتقادات السابقة و نتائج الأبحاث العيادية لدى الفئتين أدى بالمحللين النفسيين إلى تبني طرح مضاد للسابق و هو التعارض بين الجانح و العصابي. و يمكن إيجاز هذا التعارض في ثلاث نقاط أساسية هي :

***توجه الصراع و الموقف من الاخرين**

- صراعات العصابي تظل على المستوى النفسي الداخلي أساسا و لا تبرز للخارج سوى أثار هذا الصراع .أما الجانح فان صراعاته تتخذ عادة الطابع العلائقي.
- عدوان العصابي الموجه للخارج يظل عدوانا غير مباشر و يبقى على مستوى ذاتي خيالي . و يؤدي العدوان بكل ما يصاحبه من معاناة و قلق و مشاعر دونية إلى ازدراء للذات و نقمة عليها و ميل إلى تحطيمها.
- أما الجانح فعدوانه يتجه أيضا نحو الذات في نفس الوقت الذي يتخذ طابع التمرد التدميري على العالم الخارجي. و يتخذ الفعل عنده طابع التعويض عن الغبن الذي لحق به ، و يضع الآخرين موضع المتهمين و يبرر اضطهاده لهم و عدوانه عليهم . ويتخذ العدوان الموجه نحو الذات طابع انتحاري الذي يلاحظ عند معظم الجانحيين (سلوك المغامرة و تعريض النفس للأخطار بدون مبرر)
- يصبح الأنا عند الجانح(عنصر التوازن و التوفيق بين مطالب الهو و متطلبات الواقع)غاية في حد ذاته، فهو لا يعترف بالآخر (اللا أنا) إلا كجزء من الأنا أو بالأحرى كأداة في خدمة الأنا يمكن استغلالها عند الحاجة، الأمر الذي يؤدي انعدام التمييز بين العالم الداخلي و العالم الخارجي، فالرغبة في شي ء ما عند الجانح تعني في نفس الوقت امتلاكه.

من حيث الموقف من الذات :

- يهرب الجانح من ذاته بينما العصابي يهرب في ذاته.

- الجانح يتجنب عادة مواجهة صراعاته النفسية و يتهرب من القلق و ينغمس في الواقع المادي و بالأحداث و الوقائع التي تعترض حياته اليومية. أما العصابي فيعاني من صعوبة الانغراس في الواقع المادي و يتجنبه مرتدا إلى الذات كي يغرق في هواماتها و تخيلاتها و يجتر ألامها.
- و على عكس الجانح الذي يتجنب الإحساس بالآلام المعنوية و الذاتية نجد العصابي يجتر هذه الآلام و يعممها على الواقع المادي . و يتناسب اجتراره لآلامه الذاتية من حيث الشدة مع انخفاض مراعاة الواقع و تقديره بشكل صحيح ومواجهته انطلاقا من ذلك.
- و بالرغم من الاختلاف بينهما من حيث الموقف من الذات ، فإننا نجد أن وظيفة الواقع مضطربة لدى الاثنين. فالجانح لا يدرك من الواقع إلا ما يحمله من لذات آنية و لا يستطيع إدراك جميع أبعاد الواقع، و موقفه منه اضطهادي أساسا. كما أن العصابي يشوه الواقع من ناحية تضخيم أخطاره و صعوبات ، من ثم تضخيم عجزه تجاه هذا الواقع.

من حيث الموقف من الديمومة :

- اضطراب الديمومة في الحالتين من حيث تناسق أبعادها الثلاثة(الماضي . الحاضر. المستقبل)
- الجانح يهرب من الماضي في الحاضر و يهرب من المستقبل كذلك. بينما يهرب العصابي من الحاضر.
- و بمعنى آخر أن الجانح يهرب في الحاضر بينما يهرب العصابي من الحاضر.
- يظهر الجانح في الغالب عجزا واضحا عن التخطيط للمستقبل . كما يعجز عن الاستفادة من تجارب الماضي. أما العصابي فيغرق في ماضيه مجترا تاريخه بما فيه من تجارب و ماسي ، كما قد يغرق في المستقبل بما فيه من خطط و تصورات وهمية و حلول سحرية مما يبعده عن مجابهة الحاضر. فهو يهرب مما هو كائن إلى ما كان أو سيكون.

ج- مرحلة دراسة الجانح بشكل مستقل

مرت هذه المرحلة بخطوات أساسية هي:

- **الجانح بدون أنا اعلي** : قدم هذا الافتراض التفسيري ' ايكهورن**'Eichhorn**

(و هو محلل نفسي من أتباع فرويد) بعد عمله العلاجي مع جماعة من الشباب الجانح، فحسب اعتقاده أن سلوكات مثل : العنف و الاندفاع و انعدام الضبط الذاتي و انعدام مشاعر الذنب و عدم الإحساس بالآم الآخرين التي تميز شخصية المنحرفين تجعلهم يفتقدون الحس الخلقي تماما و ينجرفون

في تيار نزواتهم. و هي من نتائج ضعف وظائف الأنا الأعلى (مركز الضبط الخلقي و مشاعر الذنب و محاسبة الذات و مراقبتها) الشيء الذي أدى بايكهورن بان يفترض بان الجانحين يفتقدون هذا الأنا الأعلى.مما يجعل الجانح يرزح تحت وطأة مطالب الهو مما يجهله يعتدي على الحرمات و يخرق القوانين و يتجاهل المعايير الاجتماعية بشكل آني.

– لكن الملاحظات الدقيقة أثبتت فيما بعد صعوبة الأخذ بهذا الافتراض التفسيري . فالجانح الشائع لا يختلف كثيرا عن الناس العاديين و خرقه للقوانين و تعديه على المعايير الاجتماعية ليست بالصفات العامة التي تميز حياته بشكل دائم ، بل يقتصر ظهورها على مناسبات و مواقف معينة، كما يظهر الجانح خارج هذا الواقف تصرفات ايجابية كالتعاطف مع الآخرين كما تنتابه مشاعر الندم و يستطيع التمييز بين الصواب و الخطأ، و في حالات أخرى يظهر الكثير من الحياء و التأثر و يندفع في تصرفات فيها تضحية من اجل الآخرين.

– كما اتضح عند فرويد و مجموعة من المحللين الذين عالجوا حالات الانحراف أن وراء هذه القسوة المفرطة و الأنانية و عدم الاكتراث و مراعاة الآخرين ميولا دفينة تعصف بالجانح و تدفع به إلى تحقير ذاته و تحطيمها، كما تدفع به أحيانا إلى القيام بأفعال تظهر كل الدلائل على أن المحرك الأساسي و راءها هو البحث عن العقاب . خاصة عند حالات مكرري الانحراف و الإجرام.

هذه الملاحظات أدت إلى تغيير كلي في الافتراض التفسيري للانا الأعلى للجانح.

–ب– الجانح ذو أنا أعلى عنيف

الجانح حسب هذا الافتراض هو ضحية أنا أعلى عنيف يمارس على صاحبه نوعا من الهمجية و يدفعه باستمرار إلى وضعيات تنتهي بالعقاب و الحط من القيمة الذاتية . و يلتقي حول هذا الافتراض فرويد و ميلاني كلاين و أتباع كل منهما ، مع وجود بعض الفروق بينهما.

***راي فرويد:** الذي يرى بان الجانح يرتكب أفعاله المضادة للمجتمع بحثا عن العقاب، و هو يفعل ذلك لأنه مدفوع بمشاعر ذنب شديدة ناجمة عن أنا أعلى مفرطة في قسوته و يتطلب العقاب بشكل دوري لكي يهدأ. و حسب فرويد أن نشأة هذا الأنا الأعلى العنيف تعود إلى فشل حل عقدة اوديب . فيظل الطفل متعلقا بأمه و مشحونا بالنوايا العدوانية اللاواعية تجاه الأب. هذه النوايا العدوانية تطلق بدورها مشاعر ذنب شديدة و خوف من انتقام الأب. و بالتالي يتكون لديه أنا أعلى على صورة هذا الأب الهوامي (الأب العنيف الذي يعاقب الطفل على نواياه العدوانية والتملكية). و لذلك فالجانح حسب فرويد مدفوع في أفعاله بالبحث اللاواعي عن العقاب.

و ينطبق هذا التفسير خاصة على ظاهرة العود أو التكرار عند بعض الجانحين الذين يعطون انطباع و كأنهم ينحرفون كي يعاقبوا، و في السجن يبدوا عليهم الهدوء لان العقاب يسكت صوت الأنا الأعلى. و لا تمضي فترة طويلة من الزمن بعد خروجهم من السجن حتى يتحرك الأنا الأعلى من جديد مطالبا بالعقاب من خلال إثارة مشاعر الذنب الشديدة. و هكذا تترسخ الحلقة المفرغة التي تميز حياة هؤلاء المعيدين.

مشاعر ذنب ـــ سلوك جانح ـــ عقاب ـــ مشاعر ذنب.

- لكن يبدو أن هذا الافتراض ينطبق فقط الانحراف النابع من مشاعر ذنب مرضية و لا على كل الجانحين الذين يتمنون في معظمهم البقاء طلقاء و يستمتعون بمجلوبات الحياة الجانحة.

و الملاحظ في هذا السياق التحليلي أن الشعور او الإحساس بالندم يسبق ارتكاب الفعل الإجرامي و لا يكون بعده.

***راي ميلاني كلاين Melanie Klein**

التي أسهمت كثيرا بآرائها و كتاباتها في مجال التحليل النفسي في انجلترا ثم في العديد من البلدان الأخرى. و لقد اهتمت خصوصا بالطفولة الأولى تشخيصا و علاجا.

تعتقد **ميلاني كلاين** بان الجانح مدفوع أساسا بانا أعلى عنيف و همجي ، و لكنها تختلف عن فرويد من نشأة هذا الأنا الأعلى الهمجي. و الذي يرجعه إلى عقدة اوديب ما بين الثانية و النصف و الخامسة أو السادسة من العمر، بينما ترى **ميلاني كلاين** أن الأنا الأعلى سابق لعقدة اوديب و يتكون في السنة الأولى من الحياة. و هي ترجعه إلى العلاقة الأولية مع الأم من خلال تجربة الرضاعة عند الطفل ، و التي تتكون معها صورة ما عن الأم و بالتالي عن نفسه من خلال نوعية تجربة الرضاعة. فإذا صاحب هذه التجربة علاقة سارة و مطمئنة و مشبعة للطفل تكونت لديه صورة ايجابية عن الأم، و هذا ما تطلق عليه **ميلاني كلاين** اسم ' صورة الأم الصالحة'. أما إذا كانت هذه التجربة مؤلمة أو محبطة لم يحصل الطفل على الطمأنينة و الارتياح فتتكون لديه صورة سلبية عن الأم و تسمى ' صورة الأم السيئة'.

– فصورة الأم (الايجابية و السلبية) تشكل النواة الأولى لكل صورة تالية يكونها الطفل عن الآخرين و عن العالم و عن ذاته و وجوده. فالصورة السيئة للام تؤدي إلى تكوين قيمة سلبية عن الذات و إلى تكوين أنا أعلى همجي و عنيف يمارس سلطته على الطفل عكس الصورة الأم الصالحة التي تؤذي به إلى تكوين نظرة ايجابية عن ذاته و من ثم تنشأ أنا أعلى و دودا و رفيقا.

إن الإطار التفسيري الذي قدمته **ميلاني كلاين** يسلط الضوء على أبعاد عميقة من شخصية الجانح و يعكس فعلا ما يدور فيها من صراع. حيث اتضح من الأبحاث الموالية أن هذا القناع من الجمود العاطفي و اللامبالاة الذي يحاول الجانح عن قصد التستر به و استعراضه أمام الآخرين يخفي وراءه كائنا يسحقه القلق و يعصف به الذعر من ميول تدميرية و من خوف الفشل من الحصول على الحب . الأمر طرح فكرة تغيير إستراتيجية الإصلاح التقليدي المتبعة مع الجانحين و التي تقوم على عنصري الترغيب و الترهيب بخطة علاجية إصلاحية تنطلق من المعرفة المعمقة بديناميكية الشخصية.

-بعض التحفظات على افتراض ميلاني كلاين :

***أول تحفظ** يدور حول كيفية نشأة الأنا الأعلى العنيف ، إن دراسة مختلف حالات الانحراف لا تؤيد **ميلاني كلاين** في افتراضها أن الأنا الأعلى العنيف ينتج فقط عن المرحلة الفمية السادية و عدم إمكان تجاوزها من خلال الوصول إلى المرحلة التناسلية . فأبحاث **جون بولبي** على عينة من الجانحين (44) اللصوص المجرمين عاطفيا بينت أن الأنا الأعلى الوحشي ينتج أساسا عن صورة الأم السيئة التي تعكس في الواقع، و ليس فقط نتيجة لسادية ذاتية عند الطفل، أما حقيقة نابذة غير محبة. أو غيابا كليا للام المحبة و عدم إمكانية التماهي بصورتها.(محمد زيغور ، 1993 ص 59) بمعنى آخر إن الأنا الأعلى العنيف ينشأ نتيجة لاجتياف صورة أم سيئة أو صورة عالم مقلق مليء بالأخطار لا يساعد على إشباع حاجات الطفل إلى الحب و الدفء العاطفي و الطمأنينة.

***التحفظ الثاني** يبدو في تركيز **ميلاني كلاين** على الجانب الذاتي من المشكلة فمصدر الاضطراب حسب رأيها سواء كان في شكل عصاب أو ذهان أو انحراف هو داخلي و لا يتدخل المحيط إلا بشكل ثانوي فيه.

ج- اضطراب الانا لدى الجانح : بعد الاهتمام بالهو و مكوناته المكبوتة و كيفية تسربها في السلوك و الاهتمام بالأنا الأعلى من حيث نشأته و دوره في الحياة النفسية ، توجه البحث التحليلي النفسي إلى الأنا باعتباره القوة المنسقة بين مطالب إشباع الهو و نواهي و ضوابط الأنا الأعلى .

و تعتبر مساهمة **انا فرويد** *Anna Freud* من ابرز المساهمات في دراسة الأنا لفهم السلوك السوي و المرضي . و لقد امتدت الدراسات حول الأنا إلى ميدان انحراف الأحداث الشيء الذي سمح بنتيجة قيمة حول خصائص أنا الجانح و طريقة عمله و آلياته الدفاعية.

و من هذه الدراسات دراسة Fritz Redl الميدانية بمؤسسة نموذجية لعلاج الشباب الجانح ذوي الحالات الصعبة.

-**دراسة Fritz Redl لانا الجانح** (محمد زيغور ،1993 ص 62) :

حسب ردل لان هناك مجموعتين من المتغيرات تتحكمان في السلوك و تفسيراته هما :

– نظام النزوات: ويمثل مجموع الرغبات و الميول و الحاجات التي تدفع بالشخص نحو الإشباع و الوصول إلى الهدف.

– نظام الضوابط: و يمثل القوى أو الأجزاء من الشخصية التي تمتلك وظيفة و قدرة تقرير نوع النزوات أو الحاجات التي يمكن إشباعها أو إرجاؤها و ضبطها من خلال أشكال السلوك و كيفية الإشباع. و يتجسد نظام الضوابط هذا تبعا لنظرية التحليل النفسي في الأنا و الأنا الأعلى.

***وظائف الانا :**

حسب **ردل** للانا عدة وظائف أساسية أهما :

/ **وظيفة معرفية:** و هي ذات اتجاهين، الأول خارجي يتوجه إلى العالم الخارجي للتعامل معه على المستويين الفيزيقي و الاجتماعي. و الثاني يتجه إلى الداخل ويسعى إلى التقويم المعرفي للهو و للانا الأعلى.

/ **وظيفة الاختيار** : بعد إدراك مختلف جوانب وضعية ما يختار الأنا أفضل حل لها و أيضا الوسيلة المناسبة لتنفيذه.

/ **وظيفة القدرة** : أي قدرة الأنا على فرض قراراته و مقاومة بقية القوى في الجهاز النفسي .

/ **وظيفة تنسيقية** : أي إيجاد حل توافقي بين مختلف متطلبات و ضغوط القوى الضاغطة على الأنا.

-***خصائص سؤ التكيف للانا الجانح:**

من أهم الخصائص التي تقضي على فرص التكيف للانا عن الجانح ما يلي :

– انعدام القدرة عل تحمل الإحباط: مما يجعل الجانح يندفع في تصرفات عنيفة لتحطيم العقبات أمام أي حرمان بصرف النظر عن النتائج المترتبة.

– العجز عن السيطرة على القلق و انعدام الشعور بالأمن: الأمر الذي يجعل الجانح يندفع في تصرفات عشوائية أو متطرفة.

– انعدام القدرة على مقاومة الإغراء : فالجانحون يقعون أسرى مغريات اللحظة الراهنة و ينساقون وراء اشباعاتهم بدون تقدير لأي عواقب.

– تفكك الأنا أمام مشاعر الذنب : بحيث يظهر الجانح عجزا واضحا من مسؤولية الإحساس بالذنب.

– عجز الإحساس بالمسؤولية الشخصية : فبالنسبة للجانح تقع المسؤولية دائما على الآخرين و يعجز عن إدراك دوره فيما حدث .

– العجز من التعلم من تجربة الماضي: و هذا يرجع إلى اضطراب العلاقة عند الجانح بين الماضي و الحاضر، و بالتالي تبقى تجارب الماضي عديمة الجدوى. و لذلك قد يقع الجانح في نفس المأزق مرارا و تكرارا.

– العجز عن التعلم مما أصاب الآخرين: حيث يعيش الجانح عادة تحت شعار ' هذا لن يحدث لي أنا '، لذلك يعجز عن استخلاص العبر مما حل بالآخرين، و يعتبر نفسه حالة خاصة لا تنطبق عليه قوانين الحياة المادية و الاجتماعية.

–*استراتيجيات– الميكانزمات– الدفاعية لانا الجانح:

–استراتيجيات تجنب الحساب الداخلي : و تدور حول الآليات الدفاعية التي يستعين بها الأنا لتجنب مشاعر الذنب، و وضعية الخاطئ اجتماعيا.

–البحث عن سند للانحراف : حيث يلجأ الجانح إلى مجموعة من الآليات الدفاعية التي تشجع على الانخراط في الحياة الجانحة و تزيينها.

–مقاومة التغيير: تسعى هذه الميكانيزمات إلى مقاومة و إحباط كل محاولة إصلاح الجانح و تغيير نمط حياته.

د–وجهة نظر علائقية:

يتحدث لاجاش D.LAGACHE عن الجانح من منطلقين : شخصية الجانح و خصائصها و السلوك العدواني باعتباره السمة الأساسية للانحراف.

فشخصية الجانح يمكن معرفتها من خلال التركيز على دراسة اضطراب التماهي و التدامج الاجتماعي . حيث يأخذ اضطراب التماهي طابع الفشل في إقامة علاقات أولية ايجابية مع الأم في البداية ثم مع المحيط الأسري بعد ذالك، و هذا الاضطراب هو المسؤول عن معظم السمات التي توصف بها شخصية المجرم(محمد زبغور 1993ص71) مثل : عدم القدرة على الحكم في مسالة خلقية من وجهة نظر غير ذاتية ، انعدام اعتبار الآخرين ، نقص الحس بالمسؤولية و الخطيئة، ميل إلى ردود فعل البراءة.

بالإضافة إلى سمات الشخصية غير الناضجة كعدم القدرة على التخلي عن الاشباعات المباشرة على حساب السلامة، نقص الحكم و النقد الذاتي و الاستفادة من تجارب الماضي ، هذه السمات يرجعها لاجاش أساسا إلى فشل إقامة العلاقات الايجابية ، و اختصرها في صفة واحدة و **هي نفي قيمة الآخر و القيم العامة.** و عليه يغلب على الجانح طابع العداء و الصراع و الاضطهاد على علاقاته الاجتماعية و تأكيده على الحاجات الفردية و الميول التسلطية في سلوكه منخرطا في عملية من التماهي البطولي من خلال الانتماء إلى جماعة جانحة.

*أما السمة الأساسية التي تميز السلوك الجانح فهي العدوان، و هو أسلوب حركي للدخول في علاقة. و من ثم لا يمكن فهم العدوانية إلا في إطار علائقي. و إذا منع الجانح من التدمير فانه سيقع أسير الذعر و الذهول و الاكتئاب ، ذلك لأنه في هذه الحالة سيواجه بانعدام القيمة الذاتية ، و باللا معنى تجاه الآخر.

و عليه فان لاجاش ينظر إلى للسلوك الإجرامي من زاويتين :

-زاوية دينامية تربط بين شخصي المجرم و فعله الإجرامي

- زاوية وصفية تتعلق بعلاقة المجرم مع الجماعة التي ينتمي اليها . -

فالصراع أو النزاع النفسي ليس داخليا فقط عند المجرم بل هو خارجي أيضا.

و يلتقي لاكانLACAN مع هذا التفسير العلائقي عندما يقول' أن السلوك الجانح هو أساسا حوار عنيف بالطبع، و لكنه على كل حال حوار، محاولة للدخول في علاقة مع الآخر. من خلال العنف الجسدي أو المادي ، يحاول الجانح أن ينتزع من الآخر اعترافا به ككائن ذي قيمة ، و ليس المهم أن تكون هذه القيمة ايجابية أو سلبية ، بل هو الاعتراف بها ، الاعتراف بوجود الجانح - **إذا لم يحبني الآخرون و يحترمونني فليخافوا مني على الأقل**-'. (محمد زبغور 1993ص72)

فهذه النظرة العلائقية لشخصية الجانح ترى في سلوكه نداء ، حوار مع العالم لم يتمكن من الوصول إلى غايته بالإقناع فلجأ إلى القهر و الإخضاع . و المطلوب من الآباء و المهتمين بالجانح محاولة فهم هذا الحوار و التقاط مضامين رسائله لننقل إليه فيما بعد فهمنا لندائه و هي بداية عودة الحوار الإنساني الايجابي معه ، و هذا يعني دخولنا معه في علاقة تعطيه معناه و تعطينا معنانا أيضا.

LAGACHE : la personnalité comme telle n'existe pas ce qui existe ce sont les réseaux de relations

الاجتياب : introjection

آلية لا شعورية من الدمج المتخيل لموضوع ، شخص ، بطل أو البعض الأجزاء أو الصفات منه .

و ادخله إلى التحليل النفسي سندور فورنزي. و هذه الآلية موجودة عن الراشد و الطفل أيضا و الذي يستعين بها لجعل الصفات الواقعية أو المفترضة لنط أفكاره. إنها آلية مكونة للشخصية ، تسبب تعديلات في الأنا (نوربير سلامي ،2001،ص 73)

التماهي أو التوحد : سيرورة سيكولوجية من تبنين الشخصية ، تبدآ من المحاكاة اللاشعورية و تتلاحق بالتمثيل – الاجتياف للنموذج.(نوربير سلامي ، 2001،ص 781)

IDENTIFICATION :Processus par lequel un sujet emprunte un représentant à l'existence expressive d'un autre sujet (qualifié pour cela d'objet). [Ce représentant est le plus souvent un trait unique, isolé, particulier à l'autre personne : vêtement, attitude, geste, pli de personnalité.

-النظرية السلوكية المعرفية و السلوك المنحرف و الإجرامي

- **المدرسة السلوكية**

تسمى النظرية السلوكية باسم المثير والاستجابة وتعرف كذلك باسم (نظرية التعلم)، والاهتمام الرئيسي للنظرية السلوكية هو السلوك: كيف يتعلم وكيف يتغير.

الفرضيات التي ترتكز عليها النظرية السلوكية :

- معظم سلوك الإنسان متعلم ومكتسب سواء كان السلوك سوياً أو مضطرب.

- السلوك المضطرب المتعلم لا يختلف من حيث المبادئ عن السلوك العادي المتعلم إلا أن السلوك المضطرب غير متوافق.

- السلوك المضطرب يتعلمه الفرد نتيجة للتعرض المتكرر للخبرات التي تؤدى إلى حدوثه.

- ارتباط شرطي بين تلك الخبرات وبين السلوك المضطرب.

-جملة الأعراض النفسية تعتبر تجمعاً لعادات سلوكية خاطئة متعلمة.

- السلوك المتعلم يمكن تعديله.

ويرى هذا الاتجاه أن الاضطراب السلوكي هو سلوك متعلم يتعلمه الفرد من البيئة التي يعيش فيها ، والفرد عندما يتعلم السلوكيات الخاطئة والشاذة إنما يتعلمها من محيطها الاجتماعي عن طريق التعزيز و النمذجة وتشكيل وتسلسل السلوكيات غير المناسبة.

وقد توصل علماء الاتجاه السلوكي إلى تفسير مفاده أن الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية بما فيها الجريمة ما هي إلا عادات تعلمها الإنسان ليقلل من درجة توتره ومن شدة الدافعية لديه، وبالتالي كون ارتباطات منعكسة شرطية لكن تلك الارتباطات الشرطية حدثت بشكل خاطئ وبشكل مرضى.

مبادئ المدرسة المعرفية :

تقوم المدرسة المعرفية على مجموعة من المبادئ نوجزها في ما يلي:

-السلوك عند المعرفيين نشاط قصدي.

- تعتبر الكائن البشري نظام مركب لتجهيز المعلومات ومعالجتها وحفظها واسترجاعها

- تؤكد على أن العمليات العقلية الإنسانية تفهم في إطار سياق (نسق) يتكون من مدخلات ، معالجة ومخرجات .

-التركيز على فهم أنشطة العقل البشري.

- محاولة وصف ظاهرة معرفية معينة مثل كيف يدرك الناس الوجود، كيف يطورون الخبرة والمعرفة ويعملون على تنمية القدرات المختلفة

- البحث عن طرق و وسائل تمكن شرح المعرفة ووصفها بالانتقال مما هو ملاحظ إلى ما يمكن استنتاجه من الملاحظات.

- البنى العقلية للفرد تتطور وتتغير بفعل عامل الخبرة.

-هناك مراحل نمانية للعمليات المعرفية حسب العمر.

-النمو المعرفي هو أهم مرتكزات الأداء المرتبطة بالمراحل النمائية للفرد.

يمكن القول أن الاتجاه المعرفي في علم النفس أصبح يحتل مكانة مرموقة في الكتب و الدراسات السيكولوجية الحديثة، على اعتبار أن هذا الاتجاه نشأ كرد فعل مباشر لما يسمى بسيكولوجية المثير و الاستجابة . و من اعتقاد المعرفيين بعدم جودة هذه السيكولوجية لدراسة السلوك المعقد . لهذا ظهر الاتجاه المعرفي كرد فعل على الاتجاه السلوكي إلا أنه لا ينفيه، بل أعطوا مفاهيم معرفية جديدة تسهم في فهم الإنسان كفرد حيوي نشط يستجيب لمثيرات البيئة،من خلال تمرير المعلومات التي يتلقاها ويقوم على تحليلها وتفسيرها وتأويلها إلى أشكال معرفية جديدة تساهم في عملية التعلم لديه.

فتبعا لهذه النظرية، السلوك الإجرامي ينتج من خلال الطريقة التي ينظم بها الأفراد أفكارهم حول الأخلاق والقوانين و النظم السائدة.

و في هذا السياق يرى كل من فلين والترز وتوماس وايت أن علم الجريمة قد أهمل الجانب أو البعد الإدراكي والمعرفي في الشخص ،ف هما يريان أن الجريمة والانحراف ينتجان عن التفكير غير العقلاني وليس للعوامل الاجتماعية والاقتصادية دور مهم سوى الحد من الخيارات الفردية المتاحة.

و ضمن السياق المعرفي، صاغ سنة 1958 _عالم النفس الامريكي لورانس كوهلبرغ Lawrence Kohlberg (متخصص في علم النفس النمو) نظرية تركز على تطور التفكير الأخلاقي ، حيث افترض أن هناك ثلاث مستويات من التفكير الأخلاقي ويتألف كل منها من مستويين.

(https://fr.wikipedia.org/wiki/Lawrence_Kohlberg)

المستوى الأول: مستوى ما قبل التقاليد(العرف) The Pre-Conventional Level

niveau pré-conventionnelle فخلال مرحلة الطفولة المتوسطة(5-12 سنة) الأطفال يكونون في المستوى الأول للتطور الفكري، وفي هذا المستوى ترتبط فيه أحكام الفرد الأخلاقية بالالتزام بالقواعد الاجتماعية المحددة لما هو مقبول أو مرفوض، و ذلك من خلال القوة الخارجية التي تفرضها هذه القواعد و النتائج المادية السارة أو غير السارة ، حيث يستند على الطاعة وتجنب العقوبة.

المستوى الثاني : المستوى العرفي أو التقليدي Conventional Level

niveau morale conventionnelle يستمر من(13 حتى20 سنة)، حيث يستند المنطق الأخلاقي للأفراد في هذا المستوى على توقعات أسرهم والآخرين لأفعالهم، وقد وجد كوهلبرغ، أن الانتقال إلى المستوى الثالث الذي سماه مستوى ما بعد التقاليد للنمو الأخلاقي moral post-conventionnelle niveau (إلى غاية 25 سنة) يكون الأفراد قادرين على تجاوز الأعراف الاجتماعية. و من ثم القيام ببعض التصرفات قد يصنفون من خلالها على أنهم أفرادا جانحين. و الملاحظ أن هذه المستويات تبدآ من مفهوم التمركز حول الذات و تنتهي بالمفهوم الإنساني العالمي مرورا بالمنظور الاجتماعي.

فالنظرية السلوكية المعرفية من المدارس الحديثة في مجال علم النفس بصفة عامة، وفي مجال العلاج النفسي بصفة خاصة، حيث بدأ الاهتمام بالاتجاه المعرفي السلوكي مع بداية النصف الأخير من القرن العشرين.

و عناك العديد من النماذج العلاجية في المقاربة المعرفية السلوكية، إلا أن أشهرها :

-التصورات الشخصية لكيلي.Kelly

-العلاج العقلاني الانفعالي لإليس.Ellis

-العلاج المعرفي لبيك.Beck

-أسلوب حل المشكلات عند جولد فريد وجولد فريد.Goldfred & Goldfred

-تعديل السلوك المعرفي عند ميكنباومMeichenbaum

و هذه المقاربة مرحلة من مراحل تطور المدرسة السلوكية بعد مرحلتي التعلم السلوك الشرطي نتيجة لأبحاث واطسن و التعلم الشرطي الإجرائي على يد العالم الأمريكي سكينر (Skinner). و تسمى مرحلة السلوكي المعرفي ومن العلماء الذين أسهموا في تطوير هذا الاتجاه (وولب , وإليس ولازروس) ففي هذه المرحلة تم اخذ المفاهيم التي يتوسط حدوثها وتأثيرها بين المثير والاستجابة في الاعتبار فهذه امتداد للمرحلتين السابقتين و لا تتعارض معهما ، ولكن ينصب تركيزها على العوامل المعرفية للسلوك التي عن طريقها يتم فهم وعلاج المشكلات السلوكية . ثم تلى ذلك *مرحلة التعلم الاجتماعي أو التعلم عن طريق* الملاحظة والتقليد على يد (باندورا Bandura) وزملائه حيث توصلوا إلى أن تعلم السلوك عن

طريق ملاحظته لذلك السلوك المراد تعلمه لدى شخص أخر أو ما يسمى بالنموذج. وتوصل إلى تحديد المصادر التي تعلم السلوكات الإجرامية و هي: - يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من عائلته (الرفاق، الحضانة، المدرسة) -.يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من محيطه المباشر -يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من وسائل الإعلام.

Les approches en psychothérapie

Le domaine de la psychothérapie comprend plusieurs approches ou théories.

Ces croyances et pratiques concernent le fonctionnement humain, son développement normal et pathologique.

Et chaque approche propose ses méthodes pour aider une personne en difficulté à changer.

Les principales approches en psychothérapie sont l'approche psychanalytique, l'approche cognitivo comportementale(TCC) l'approche humaniste et l'approche systémique.

Le choix de l'approche ou des approches auxquelles adhère le psychothérapeute aura des implications sur la façon dont il va intervenir avec son client.

Croyances et postulats de l'approche cognitivo comportementale

L'approche cognitivo comportementale(TCC) suppose que les problèmes psychopathologiques sont des comportements appris.

Les troubles psychologiques se manifestent par des pensées (cognitions) et des comportements inadaptés ou dysfonctionnels.

Dans l'approche cognitivo comportementale, le psychologue vise d'abord à bien analyser et ensuite à modifier ces habitudes dysfonctionnelles.

Dans cette approche thérapeutique on prend en considération le milieu de vie de la personne.

Origines de la composante comportementale de l'approche TCC

L'approche cognitivo comportementale résulte de l'intégration de deux grandes théories en psychothérapie.

Ce sont les approches behaviorale ou comportementale et l'approche cognitive.

Historiquement, nous retrouvons d'abord le behaviorisme développé par John Watson et par B.F. Skinner .

L'approche behaviorale découlant du behaviorisme utilise les principes du conditionnement répondant et du conditionnement opérant.

La thérapie comportementale vise à modifier les comportements observables problématiques du client.

Origines de la composante cognitive de l'approche TCC

C'est dans les années 70 que s'est développé le courant cognitiviste en psychothérapie.

Il y eut d'abord la thérapie émotivo rationnelle développée par Albert Ellis.

Aaron Beck et son équipe ont ensuite développé et popularisé la thérapie cognitive proprement dite.

Ils l'ont appliqué à une multitude de problématiques psychiatriques et ont démontré son efficacité.

Ces deux types de psychothérapie ont mis l'accent sur le rôle primordial des distorsions cognitives dans la psychopathologie.

L'approche cognitive s'attaque à identifier et remplacer les cognitions dysfonctionnelles par des pensées et croyances justes

www.cogicor.com/approche-cognitivo-comportementale)

- النظرية النمائية و السلوك المنحرف و الإجرامي

يمكن تعريف النمو عموما بأنه ما يحدث للكائن الحي من تغيرات كمية وزيادات في الحجم والبنية تبدأ مع بداية تكون البويضة الملقحة وتستمر حتى اكتمال النضج. و من المعروف أن هذه التغيرات الكمية يصاحبها ارتقاء في الوظائف الفيزيولوجية و النفسية و العقلية.

و النمو الإنساني أرضا مشتركة للعديد من العلوم الاجتماعية و البيولوجية ، و يتموقع فيها علم النفس بشكل جيد و واضح ، و خصص له فرعا تطبيقيا هو علم النفس النمو. و الذي يفيد في فهم سلوك الفرد و ضبطه و توجيهه و التنبؤ به.

من أهدافه وصف السلوك و يشمل معرفة زمن ظهور سلوك معين، وتسلسل سير هذا السلوك وتطوره بشكل إيجابيّ أو سلبيّ، وعلاقة السلوك المدروس بالعمليات النفسية، وكيفية تفاعلها مع الأنماط النمائيّة في المرحلة الراهنة، وغيرها من المعلومات الوصفيّة التي تكوّن بذلك الصورة النهائية للسلوك بكافة جوانبه، ويكون ذلك بالمشاهدة وتسجيل الملاحظات النفسية التفصيلية. وتمرّ عملية وصف السلوك في علم نفس النمو بالوصف التحليلي للقوانين النمائية، وتصنيفها إلى أنماط واتجاهات إما في مرحلة عمريّة معينة، وإما خلال المرور بجميع المراحل النمائيّة .

مبادئ النظرية النمائية

- توجد أنماط نمائية للنمو الطبيعي أو العادي.

– هذا النمو ليس عفويا أو عشوائيا أو متقلبا، و إنما هو محكوم بقوانين للنمو وهي: الاستمرار ، الانتظام ،التتابع ، التكامل، الانتقال من الكل إلى الجزء، عملية فردية ، عملية فارقة.

– إن أي انحراف أو تباعد أو اضطراب في تتابع النمو ينتج عنه سلوكيات غير سوية أو متباعدة أو منحرفة. (صعوبات ، اضطرابات ، أمراض)

– عند ظهور هذه الصعوبات أو الاضطرابات فإن فحص تتابع خطوط النمو ومراحله أو انتظامه يمكن أن يكشف عن موقع الانحراف أو التباعد.

– على ضوء تحديد موقع أو نقطة الانحراف أو التباعد يمكن اقتراح الأساليب التي تقود إلى الوصول بهذه الانحرافات (الصعوبات، اضطرابات ، أمراض) إلى الأنماط المحددة للنمو.

و في إطار النظرية النمائية هناك العديد من المقاربات و التصورات التي وضحت العلاقة بين مظاهر النمو و سيرورته – خاصة في مرحلة الطفولة – و مدى سوية الشخصية لاحقا. فجون بولبي **John Bowlby** مثلا أشار إلى أهمية العلاقة بين الطفل و مقدمي الرعاية له، مركزا على مفهوم التعلق l'attachement بأنواعه:الأمن،الغير الأمن ، التجنبي، و انعكاساتها على سلوكه خاصة العدواني منه و المضاد للمجتمع.

كما وضح جون بياجيه **Jean Piaget** مراحل النمو الأخلاقي أثناء تفاعل الطفل مع بيئته الاجتماعية و نظمها الأخلاقية، و هي المرحلة ما قبل الأخلاقية، المرحلة الأخلاقية الواقعية ، المرحلة الأخلاقية النسبية. و التي يرى فيها بياجيه أن مهمة في بلورة إدراك الطفل لوجود وجهات نظر بديلة، و في قدرته على وضع نفسه في مكان الغير تسهيلا لنمو التفكير الأخلاقي الذي يساعده على التكيف مع ذاته و مع الآخرين و يجنبه الانحراف عن السلوك الاجتماعي و الأخلاقي المرتضى.

و تشتمل عملية التكيف في نظر بياجيه على عمليتين متكاملتين (سامي محمد ملجم، 2004،ص 138) هما:

–التمثل assimilation و هي مسؤولة عن استدخال البيئة و عناصرها في نمط السلوك الحاضر للفرد كما هو.

-المواءمة أو الملاءمة accommodation و هي تغيير و إعادة تنظيم النمط المعرفي للفرد مما يتلاءم مع مستجدات البيئة لمساعدته على التكيف مع متطلبات عناصر البيئة الخارجية.

كما يؤكد بياجيه على الارتباط الوثيق بين النمو المعرفي و النمو الخلقي عند الأطفال ، حيث يسير النمو الخلقي في خط مواز للنمو المعرفي.

- نظرية التحكم بالذات و السلوك المنحرف و الإجرامي

إن مفهومنا عن ذاتنا يترجم عادة في سلوكنا سواء كان هذا المفهوم صحيحاً أم خاطئاً.

فالتحكم الذاتي لدى الأفراد بمثابة الحصن النفسي الواقي من الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية وكذلك من سهولة الوقوع تحت تأثير المواقف والحالات السلبية .

Le contrôle de soi réfère à la capacité de changer les réponses automatiques ou impulsives afin d'agir selon ses propres exigences ou celles de la situation.

Les personnes qui ont un faible contrôle de soi ont tendance à s'appuyer sur le système impulsif, qui est responsable du comportement basé sur des heuristiques et des associations de représentations mentales (règles simples ou opérations mentales rapides et intuitives par opposition à une analyse délibérée).

Celles qui ont un grand contrôle de soi ont tendance à s'appuyer sur le système de réflexion, qui est responsable d'opérations mentales d'ordre plus élevé qui offrent une flexibilité et un contrôle du système impulsif.

(http://www.psychomedia.qc.ca/lexique/definition/controle-de-soi)

يُعّد مفهوم التحكم الذاتي (Self-Control) من العوامل الذاتية المساهمة في تحويل و تشكيل الإنسان من كائن سلبي تتحكم فيه النزعات الداخلية والتنبيهات الخارجية إلى كائن إيجابي فاعل يسيطر على كثير من اندفاعاته السلوكية والفكرية والانفعالية.

و في هذا السياق تعد نظرية المصدات أو المفاهيم الذاتية التي تنسب إلى العالم الأمريكي والتر ركلس **Walter Reckless** محاولة لتفسير مفهوم التحكم بالذات من الإجابة على التساؤل حول علة تفاوت ردود أفعال الأفراد وسلوكياتهم رغم وحدة المؤثر الخارجي .أي لماذا يسلك بعض الأفراد الطريق إلى الجريمة بينما يعزف عنه آخرون.

ويعزي ركلس هذا التفاوت إلى وجود أمرين. .

(http://elbassair.net/downloads/tarbawaiyate/G11/22.pdf)

أطلق عليهما ركلس تعبير "المصدات الماصة Containing buffers : الأول وجود تنظيم اجتماعي خارجي متماسك يجبر الأفراد على توافق سلوكهم مع القواعد القانونية ، والثاني وجود "جهاز مقاومة " بداخل كل فرد منا يعصمه من الخروج على ما توجبه قواعد القانون. وتعمل هاتان القوتان كوسائل دفاع وكعازل في مواجهة الإغراءات والفساد الأخلاقي . فهذين الأمرين هما من قبيل وسائل التحييد بالنسبة للعوامل الدافعة للجريمة . ويتفاوت السلوك الاجتماعي للأفراد بحسب قوة أو ضعف هاتان القوتان ، فالعلاقة بينهما وبين الجريمة علاقة عكسية.

و من قناعات هذه النظرية أن الحياة المعاصرة تتصف بضعف وعدم تجانس التنظيم الاجتماعي للجماعات ، بحيث لا تستطيع هذه الأخيرة أن تباشر في مواجهة أعضائها الرقابة الكافية. ولا يتبقى حينئذ من قوى المنع أو المصدات إلا سلطة الرقابة الذاتية أو جهاز المقاومة الداخلي . فالملاحظ أنه كلما تشعبت مظاهر الحياة في المجتمع كلما اكتسبت الذات أهمية متزايدة كعامل رقابة Controlling agent. وتتوقف قوة الذات في مواجهة المغريات وقوى الدفع نحو الجريمة على الصورة التي يكونها الشخص عن نفسه وكذلك المفاهيم والقناعات الذاتية Self-concepts.

فكلما نظر الفرد إلى نفسه كشخص مسئول وتعمقت لديه القناعة بأهمية دوره في المجتمع فإنه سوف يتصرف كشخص مسئول و يأتي سلوكه مطابق للقانون و تكيفا اجتماعيا Favourable socialisation. وعلى العكس إذا ما تكونت لدى الفرد القناعة بأنه خارج حلبة الصراع المشروع من أجل الترقي الاجتماعي وضعفت المفاهيم التي يكونها الشخص عن نفسهً كان ذلك مؤشرا على ضعف الرقابة الذاتية وعلى عدم تكيفه مع المجتمع بطريقة سليمة Unfavourable socialisation، وخاصة مع قيم الطبقة الاجتماعية التي تعلو طبقته في السلم الاجتماعي.

وجملة القول أن ركلس يرى بأن تفسير الظاهرة الإجرامية لا يمكن أن يتم إلا في ضوء تقدير مدى قوة عاملي الرقابة أو المفاهيم الذاتية والتنظيم الاجتماعي في الدفع إلى الجريمة.

المراجع:

- إبراهيم حمداوي(2017) مدخل إلى سوسيولوجيا الجريمة،المغرب ،الرباط: مطبعة الرباط نت

-احمد فليش و آخرون (2017)علم الإجرام و العقاب، مراكش : مكتبة فضاء ادم للنشر و التوزيع.

- جابر نصر الدين(2006) السلوك الانحرافي و الإجرامي ، الجزائر، عين مليلة : دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع.

- محمد زبغور(1993)التأهيل النفسي و الاجتماعي للطفل و المراهق، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر.

- نوربير سلامي (2001) المعجم الموسوعي في علم النفس ، ترجمة: وجيه سعد، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

- سامي محمد ملجم(2004)علم النفس النمو-دورة حياة الإنسان-عمان: دار الفكر ناشرون و موزعون.

- عبد المجيد سيد احمد منصور، زكريا احمد الشربيني(2013) سلوك الإنسان بين الجريمة العدوان الإرهاب،القاهرة : دار الفكر العربي.

-https://fr.wikipedia.org/wiki/Lawrence_Kohlberg

-(http://www.psychomedia.qc.ca/lexique/definition/controle-de-soi)

-*www.cogicor.com/approche-cognitivo-comportementale*)